المحاضرة الرابعة عشرة
افغانستان

تقع افغانستان في اواسط اسيا، تحدها من الشمال جمهورية اسيا الوسطى (طاجكستان واوزبكستان وتركمنستان)، ومن الغرب ايران، ومن الجنوب والشرق باكستان، ولها حدود مشتركة مع جمهورية الصين الشعبية من جهة الشرق[1]، إن موقعها هذا فرض عليها أن تكون ممراً يربط شعوب وامبراطوريات متصارعة، الأمر الذي أثر فيها وجعلها ممزقة بين امبراطوريتين اسيويتين المغولية في الهند والصفوية في بلاد فارس حتى القرن الثامن, إذ كانت كلتا هاتان الامبراطوريتان تتقاسم الاراضي الافغانية, وأجبرت قبائلها على تقديم فروض الطاعة والولاء, ومنها القبائل الإبدالية والكلزائية التي دخلت في صراع فيما بينها لتقديم الولاء للاستحواذ على الإمتيازات من شاهنشاهات الفرس[2].

أُستطاع (نادر شاه الافشاري) أن يخضع القبائل الافغانية لاسيما (الابدالية) عن طريق أُتباع سياسة الترضية فقربها منه وجند عدداً كبيراً منها، فبرزت شخصية افغانية هو (احمد خان الابدالي)، وبعد وفاة (نادر شاه)، أدرك الزعماء الافغان ضرورة الوحدة الوطنية، فأُتفقوا في اجتماع لهم في قرية (نور اباد) على اختيار (احمد خان) زعيما لهم، فقدمت له القبائل الافغانية فروض الطاعة، فكان ذلك بمثابة إعلان قيام (مملكة افغانستان) عام 1747 [3].

وخلال عهد (احمد خان)، تمكن من استغلال ضعف مملكتي الفرس والمغول ليخلص شعبه من التبعية الاجنبية، وأصبحت افغانستان وحدة سياسية متماسكة مستقلة يحكمها أهلها، وبعد وفاته عام 1773 ترك لخلفائه من بعده مملكة مترامية الأطراف لم يستطع اولاده الحفاظ عليها، فأُضمحلت فيها قوة المملكة وضعفت فيها السلطة المركزية لكثرة الثورات الداخلية وهجمات السيخ، فضلاً عن كثرة النزاعات القبلية[4].

الاحتلال البريطاني لافغانستان.

أُزدادت أهمية افغانستان الاستراتيجية، وأصبحت مهددة بأطماع القوى الدولية والدول المحيطة بها، إذ أُشتد التنافس البريطاني- الروسي للإستحواذ على مناطق النفوذ في ايران وافغانستان، وأُستغلت بريطانيا الصراع الداخلي على العرش بين (السادوزائي) و(البارکزائي) لتأمين حدود الهند–البريطانية ضد الاطماع الروسية، فدخلت في ثلاثة حروب مع افغانستان، كانت أولها بين الاعوام **(1838-1842)**، إذ حاولت غزو افغانستان، فأصدر الحاكم البريطاني اللورد (اوكلاند) عام 1838 إعلان (سيملا) الذي أوضح فيه مسوغات الغزو او أسباب الغزو البريطاني لافغانستان والمتمثلة[5]:

أ- تأمين الحدود الغربية للهند وإيجاد حليف لها في افغانستان.

ب- إسقاط الحكم (البارکزائي) لمساندتهم الروس.

فأُشتدت حركة المقاومة ضد الوجود البريطاني، وأُندلعت الثورات في (قندهار)، وانضم اليها فئات الشعب كافة، وتمكن الثوار من الدخول الى منزل القائد البريطاني وقتله، لذلك لم تفلح محاولات البريطانيين في القضاء على الثورة، فاضطرت الى الدخول في مفاوضات مع الافغان والانسحاب من الاراضي الافغانية, وظلت بريطانيا تتحين الفرصة للعودة مرة اخرى الى افغانستان في وقت أُشتد فيه الصراع الدولي للاستحواذ على مناطق النفوذ في اواسط اسيا

([1]) ينظر خارطة رقم (13).

([2]) نوري عبد الحميد واخرون, تاريخ اسيا, ص 136.

([3]) مي فاضل مجيد الربيعي, التطورات السياسية في افغانستان 1929-1973, اطروحة دكتوراه (غير منشورة), كلية التربية /ابن رشد, جامعة بغداد, 2004, ص 15-16.

([4]) نوري عبد الحميد واخرون, تاريخ اسيا, ص 136-137.

([5]) مي فاضل, المصدر السابق, ص 21-22.

وتبنت الدفاع عن شبه القارة الهندية، واستغلت الحرب الاهلية التي نشبت بسبب الصراع على العرش بين أبناء (دوست محمد)، فضلاً عن اشتداد التنافس البريطاني- الروسي في مناطق اواسط اسيا، فأثار هذا التوسع الروسي مخاوف البريطانيين ودفعهم الى اعادة حساباتهم في افغانستان، قادت بهم الى وضع أول اهدافهم الاستراتيجية متمثلاً بربط هذه البلاد سياسياً وعسكرياً ببريطانيا، عن طريق إقامة مراكز عسكرية في مناطق استراتيجية تختارها[6].

شنت بريطانيا حربها الثانية لغزو افغانستان عام **1878** وأصدرت منشوراً برزت فيه حملتها العسكرية[7]، وعلى الرغم من الانتصارات التي احرزها البريطانيون، الا أنَّهم أدركوا صعوبة بقاء قواتهم في افغانستان خوفاً من هجمات الثوار والافغان، لهذا فضلت الانسحاب منها، وعقدت معاهدة مع اميرها (شير علي)، حققوا من خلالها أهدافهم السياسية، بإخضاع السياسة الخارجية الافغانية لحكومة الهند البريطانية، وبهذا تم الانسحاب الثاني عام 1879، ووقعت معاهدة **(جاندا ماك)** عام 1879 بين الجانبين البريطاني والافغاني[8]، نصت على تعهد الحكومة البريطانية بالدفاع عن افغانستان في حالة تعرضها الى اي عدوان خارجي على ان تنسحب القوات البريطانية بعد زوال التهديد، مع الاحتفاظ بوادي (خوازم) وبعثة بريطانية دائمة في (كابول) وإنشاء خط تلغرافي بين وادي خوازم وكابول، مقابل تقديم المساعدة المالية لاميرها ومقدارها ستون الف باون استرليني سنوياً، وبهذا حققت بريطانيا اهدافها الاستراتيجية للسيطرة على السياسة الخارجية الافغانية والسيطرة على الممرات الاستراتيجية التي تقع على الحدود الهندية[9].

إلا إنَّ الوجود البريطاني واجه معارضة من الافغان، فنشبت ثورة بين الجنود الافغان، أدت الى مقتل أفراد البعثة البريطانية الامر الذي دفع الحكومة الهندية البريطانية الى اجتياح افغانستان للمرة الثالثة، واحتلال (قندهار) و(كابول) عام **1879**، وعلى الرغم من المقاومة الشديدة التي واجهت الاحتلال، صدرت الاوامر الى القوات البريطانية بالانسحاب من افغانستان صيف عام 1881، وبهذا تمت للامير السيطرة على البلاد وأُعترفت به بريطانيا اميراً عليها، ووقع الطرفان على اتفاقية حدودية عام 1893 بين الجانبين لجعل (جبال سليمان) حداً فاصلاً بين البلدين، الا إنَّ هذه العلاقات الحسنة بين الطرفين لم تستمر طويلاً, إذ أدى قيام الثورة البلشفية في روسيا عام 1917 وأُنتشار الافكار الثورية الى نمو الوعي الوطني لدى الفئة المثقفة في البلاد، والدعوة الى تحقيق الاستقلال، وظهر ذلك واضحاً من خلال الإعلان الذي أصدره الامير **(أمان الله)** 1919 الى مواطنيه، والذي دعا فيه الى أن تكون حكومة افغانستان حرة مستقلة تمتلك الحقوق جميعها التي تتمتع بها الحكومات المستقلة الاخرى[10].

ولتحقيق ذلك تبنى الأمير هدفين أولهما تخليص البلاد من التبعية البريطانية والحصول على استقلال افغانستان التام، وثانيهما، تبني سياسة داخلية تحقق إصلاحاً شاملاً في نواحي الحياة جميعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فكانت الظروف الدولية مهياة للامير للتخلص من التبعية البريطانية، إذ خرجت بريطانيا منهكة القوى، فضلاً عن تضعضع حالة الجيش البريطاني في الهند ونشوب الثورات الوطنية في الهند ضد الحكم البريطاني، وأُعلن الجهاد بين القبائل في المناطق الحدودية واعلن استعداداته العسكرية التي بدأت عام 1919، وبدا الهجوم الافغاني على ثلاثة محاور، واستطاع الجيش الافغاني بقيادة **(محمد نادر خان)** أن يحقق الانتصارات على القوات البريطانية[11].

([6]) نوري عبد الحميد واخرون, تاريخ اسيا, ص 138-139.

([7]) ك.م.بانيكار, المصدر السابق, ص 167.

([8]) اكرم عبد الله الجميلي, الاحزاب والحركات السياسية في افغانستان وازمة السلطة 1965-1994, اطروحة دكتوراه (غير منشورة), كلية العلوم السياسية, جامعة بغداد, 1997, ص28.

([9]) مي فاضل, المصدر السابق, ص 30-27.

([10]) نوري عبد الحميد واخرون, تاريخ اسيا, ص 140-142؛ عبد الفتاح ابراهيم, المصدر السابق, ص247.

([11]) مي فاضل, المصدر السابق, ص 35-36.

الأمر الذي جعل بريطانيا تتخلى عن فكرة الحفاظ على افغانستان والسيطرة عليها، وفضلت الدخول بمفاوضات معها لتحديد نوع العلاقة التي تربط بين البلدين، فبدات المفاوضات عام 1919 أسفرت عن عقد معاهدة (**راولبندي**) عام 1919 [12], التي تضمنت:-

1- إعادة حالة السلم بين الطرفين.
2- إقرار الحدود التي رسمت سابقا مع حكومة الهند البريطانية.
3- أُرفقت مع المعاهدة رسالة تضمنت:-

أ- إعتراف الحكومة البريطانية بأُستقلال افغانستان التام في علاقاتها الخارجية والداخلية.
ب- عدت الاتفاقيات السابقة ملغاة.

عدت هذه المعاهدة إقراراً رسمياً من الحكومة البريطانية باستقلال افغانستان، وإقامة علاقات دبلوماسية معها على أساس الند للند، وليس كونها دولة خاضعة للنفوذ البريطاني، وأنهت التبعية الدبلوماسية للافغان, وبهذا الانتصار السياسي والدبلوماسي اتجه الامير (**امان الله**) الى تقوية علاقاته الدبلوماسية مع البلاشفة (في الاتحاد السوفيتي)، وعقدت معاهدة للصداقة بين الطرفين عام 1921 تضمنت[13]:-

1- إعتراف كل من الدولتين بأُستقلال الدولة الاخرى.
2- إقامة علاقات دبلوماسية معها.

عدت هذه الاتفاقية نصراً سياسياً لافغانستان, لأنها تضمنت اعترافاً سياسياً مع قوة دولية كبيرة في اواسط اسيا بأُستقلال افغانستان وإعلان إقامة علاقات دبلوماسية مع البلاشفة.

([12])المصدر نفسه, ص 37-38؛ اكرم عبد الله, المصدر السابق, ص 28؛ عبد الفتاح ابراهيم , المصدر السابق, ص248.

([13])اكرم عبد الله, المصدر السابق, ص 28؛ عبد الفتاح ابراهيم, المصدر السابق, ص248.